

The Aesthetics of Religious Poetry in the Works of Umayya ibn Abi al-Salt

Gacem Abderahman-dir ben Harzallah ¹

¹ University of Laghouat – University Amar Telidji Algeria

Email : abd.gacem@lagh-univ.dz- Dir.benharzallah@univ-batna.dz

Received: 21/11/2024; Accepted : 14/03/2025 ; Published : 15/04/2025

Abstract:

The pre-Islamic era provided fertile ground for the emergence of poetic voices that expressed humanity's existential anxiety and profound questions about creation and destiny. Among these poets, the name of Umayya ibn Abi al-Salt stands out. He distinguished himself from his contemporaries with a clear religious inclination, a sincere search for truth, and deep reflections on God's power and oneness.

His poetry is considered one of the early seeds that paved the way for the emergence of Islamic poetry, as it contains themes of monotheism, concern with resurrection and judgment, and a longing for guidance and salvation. In this context, the aim of this article is to explore the artistic and spiritual aesthetics in the poetry of Umayya ibn Abi al-Salt, focusing on elements of language, imagery, and content, as well as the literary and spiritual impact his work left on later Arabic poetry.

Keywords: Aesthetics, religious poetry, Umayya ibn Abi al-Salt, resurrection, certainty.

جماليات الشعر الديني عند أمية بن أبي الصلت.

المخلص:

لقد شكّلت المرحلة الجاهلية أرضاً خصبة لنشوء أصوات شعرية عبّرت عن قلق الإنسان الوجودي وتساؤلاته العميقة حول الخلق والمصير. ومن بين هؤلاء الشعراء، يبرز اسم أمية بن أبي الصلت، الذي تميّز عن غيره من شعراء عصره بنزعة دينية واضحة، وبحثٍ جاد عن الحقيقة، وتأملاتٍ صادقة في قدرة الله ووحدانيته. يُعد شعره من البذور الأولى التي مهدت لظهور الشعر الإسلامي، لما فيه من معانٍ توحيدية، واهتمامٍ بالبعث والحساب، وتوقٍ إلى الهداية والنجاة. وفي هذا السياق، يهدف هذا المقال إلى الكشف عن الجماليات الفنية والدينية في شعر أمية بن أبي الصلت، مركزاً على عناصر اللغة، والصورة، والمضمون، وما تركه من أثر أدبي وروحي في الشعر العربي لاحقاً.

الكلمات المفتاحية: جمالية، الشعر الديني، أمية بن أبي الصلت، البعث، اليقين.

مقدمة:

يُعدّ الشعر الجاهلي مرآة صافيةً تعكس ملامح الحياة العربية قبل الإسلام، بما تحمله من قيم، ومعتقدات، وصراعات، وتصورات عن الإنسان والكون. ومن بين هؤلاء الشعراء، برز اسم أمية بن أبي الصلت، الذي مثل حالة فريدة من التمهيد الفكري والروحي لظهور الإسلام، من خلال شعره الذي تجاوز أطر الوصف والغزل، إلى مجال العقيدة والتوحيد.

لقد شكّلت نصوص أمية فضاءً شعرياً يفيض بالإيمان الغريزي، والبحث عن الحقيقة، والتأمل في الغيب، حيث تجلّى فيه الإيمان بالملائكة، والبعث، والجنة والنار، والدعاء، والتوحيد، في صور بلاغية بديعة، ولغة قوية، ومشاعر صادقة. وقد انعكس ذلك في توظيفه للمفردات ذات الطابع الديني والروحاني، مما أضفى على شعره صبغة عقدية متميزة، تمازج فيها الحس الإيماني بالفن الشعري.

وانطلاقاً من هذا المنظور، يتناول هذا البحث بالدرس والتحليل جماليات الشعر الديني عند أمية بن أبي الصلت، مبيّناً كيف أن شعره لم يكن مجرد انعكاس للحس الجاهلي الديني، بل كان خطوة أولى في طريق الوعي التوحيدي، ومراة لقلق الإنسان العربي الباحث عن الخلاص واليقين، قبل أن تشرق شمس النبوة الخاتمة.

1- ترجمة الشاعر:

اسمه ونسبه:1

هو أمية بن أبي الصلت بن عوف بن عقدة بن عنزة بن قسي وأبو الصلت والده هو عبد الله بن أبي ربيعة وقيل ربيعة بن وهب بن علاج بن أبي سلمة. وقسي هو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن، بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس غيلان ووالدته هي رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف وزوجته هي أم حبيب بنت أبي العاص، وأولاده أربعة من الذكور: القاسم، وهوب، وعمرو، وربيعه وله بنتان. وأخته هي الفارعة التي قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح الطائف... وأخبرته عن قصة أمية.

نشأته:2

عاش أمية في بيت له ماله من العراقة في الأدب والعز والشرف، كان والده سيدياً في قومه وكانت والدته كذلك من سيدات قريش وشريفاتها، وتذكر الروايات أنه كان له أخوة ينشدون الشعر، فتربى في عالم الأدب والحسب والنسب وعاش عيشة فيها الكثير من الرفاهية والغنى، وكان هذا كله عاملاً من العوامل التي أدت شاعرية الفتى، إذا أضفنا إليها، أجواء الطائف بنسيمها وبساتينها الخضراء وينابيعها الثرة المعطاء.

1-2 ثقافته ومكانته الشعرية:3

قال أبو عبيدة: اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدن أهل يثرب، ثم عبد قيس (سكان البحرين)، ثم ثقيف والطائف، وأن أشعر ثقيف أمية. وقال ابن سلام: أمية أشعر أهل الطائف، وكان الكميث يقول: أمية أشعر الناس، قال كما قلنا ولم نقل كما قال، وقال الأصمعي: ذهب أمية بعمامة ذكر الآخرة... وكان أبو عبيدة والأصمعي يقولان: عدي في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها، وكذلك أمية.

أهم الدراسات عن أمية وشعره:4

من الأوائل الذين كتبوا عن أمية وشعره: ابن سلام في طبقات الشعراء، وابن قتيبة في الشعر والشعراء، والأصفهاني في الأغاني، والمرزباني في الموشح، والدميري في حياة الحيوان، والبغدادي في خزائن الأدب، وابن رشيق في العمدة. أما بالنسبة للمتأخرين فنجد كل من لويس شيخو وجورجي زيدان والسباعي بيومي والزيات وفريدريك شولتهيس. هذا وقد جمعت داووين الشاعر وطبعت، لكن بنوع من الجفاف والقلة والندرة، خاصة في باب التحقيق والتخريج. إلا إذا استثنينا العمل الذي قام به عبد الحفيظ السطلي في هذا الباب.

1-3 خصائص شعر أمية:

إن الخصائص التي اتسم بها شعر أمية، كانت من بين الأسباب التي حالت دون الاهتمام بشعره دراسة وتحقيقاً، وهذا على مستوى الأسلوب والألفاظ من جهة، وعلى مستوى المعنى والأخيلة من جهة أخرى، فلو نظرنا إلى الألفاظ نجد أن أمية أكثر من استعمال الدخيل من العبرية والسريانية والفارسية، كونه خالط الأعاجم كثيراً وأخذ من ثقافتهم ولغاتهم، فقد كان يسمى السماء صاقورة، و حاقورة، و غمد القمر يسميه ساهور... ولهذا قال ابن قتيبة) أن علمائنا لا يرون شعره حجة في اللغة.⁵

أما بالنسبة للمعاني فكما جاء أنفاً من كون أمية ذهب في شعره بغالب أمور الآخرة، حيث ذكر الحشر والحساب والجنة والنار والملائكة وخلق السماوات والأرض، وذكر كثيراً من العجائب والقصص الخيالية والأساطير

الخرافية، وهذا كما قلنا كان له الأثر في عدم اهتمام النقاد والرواة به، ولذلك قال الحجاج: (ذهب قوم يعرفون شعر أمية واندراس الكلام).⁶

1-4 وفاته:7

عن أخت أمية بن أبي الصلت قالت إني لفي بيت فيه أمية نائم إذ أقبل طائران أبيضان فسقطا على السقف ففرج السقف فسقط أحدهما عليه فشق بطنه وثبت الآخر مكانه
فَقَالَ الْأَعْلَى لِلْأَسْفَلِ أَوْعَى قَالَ وَعَى قَالَ أَقْبَلَ قَالَ أَبِي وَيُقَالُ قَالَ زَكَ قَالَ خَسَا فَرَدَّ عَلَيْهِ قَلْبَهُ وَطَارَ وَالتَّامُ السَّقْفُ
قَالَتْ فَلَمَّا اسْتَبْقَطَ قَلْتُ لَهُ يَا أَخِي أَحْسَسْتَ شَيْئًا قَالَ لَا وَإِنِّي لِأَجِدُ تَوْصِييَا فَمَا ذَاكَ فَأَخْبَرْتَهُ قَالَ يَا أُخِيَةَ أَنَا رَجُلٌ أَرَادَ
اللَّهُ بِي خَيْرًا فَلَمْ أَقْبَلْهُ قَالَتْ فَلَمَّا مَرَضَ مَرَضَتَهُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا قَالَتْ فَإِنِّي عِنْدَهُ إِذْ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَشَقَّ بَصَرَهُ ثُمَّ
قَالَ:

ليبيكما ليبيكما هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

لَا ذُو بَرَاءَةٍ فَاعْتَدِرْ وَلَا ذُو قُوَّةٍ فَانْتَصِرْ

ثُمَّ أَعْمَى عَلَيْهِ ثُمَّ شَقَّ بَصَرَهُ وَنَظَرَ وَقَالَ:

ليبيكما ليبيكما *** هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

وَقَالَ

لَا ذُو عَشِيرَةٍ تَحْمِينِي *** وَلَا ذُو مَالٍ يَفْدِينِي

ثُمَّ أَعْمَى عَلَيْهِ فَقُلْنَا قَدْ أَوْدَى ثُمَّ شَقَّ بَصَرَهُ وَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ:

ليبيكما ليبيكما *** هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

بِالنَّعْمِ مَخْفُودٌ مِنَ الذَّنْبِ مَخْضُودٌ

ثُمَّ أَعْمَى عَلَيْهِ ثُمَّ شَقَّ بَصَرَهُ وَقَالَ:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَاعًا *** وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا

ثُمَّ أَعْمَى عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ:

ليتني كنت قبل ما قد بدالي *** في قلال الجبال أوعى الوعولا

كل عيش وإن تطاول دهرًا *** قصره مرة إلسى أن يزولا

ثُمَّ خَفَتْ فَمَاتَ.⁸

2- الاعتقاد في الشعر:

يعتبر الشعر مصدرا أساسيا، ووثيقة محكمة، ترصد لنا أخبار المجتمع العربي قبل الإسلام، تحكي أيامه، وبطولاته، ومآثره، على جميع المستويات الاجتماعية والفكرية والثقافية.... وقد تناغم وامتزج إلى حد بعيد مع الجوانب الروحانية والخلجات الإيمانية على اختلاف مخرجها، وتشعب طقوسها، مبديا بذلك روعة في التعبير، وهذا عند الأحناف خصوصا، فهذا زيد بن عمرو بن نفيل في معرض تفنيده لكثرة الآلهة وتعددتها يقول:⁹

أربا واحدا أم ألسف رب *** أدين إذا تقسمت الأمور

عزلت اللات والعزى جميعا *** كذلك يفعل الجلد الصبور

ويقول زهير:¹⁰

وما من يد إلا يد الله فوقها *** وما ظالم إلا سيلى بظالم

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم *** ومهما يكتم الله يعلم

أما بالنسبة للمعتقد الوثني فقد كان الشعر الجاهلي يزخر به كونه محط قداسة، ومشروع عناية، مثل قبيلة (عك) اليمنية كانوا عندما يخرجون إلى الحج قدموا غلامين أسودين فكانا أمام ركبهم فيقولان:¹¹

(نحن غرابا عك)

فتقول عك من بعدهما:

(عك إليك عانية). (عبادك اليمانية). (كيما نجاح الثانية).

وقول عبد العزى بن وداعة المزني في الوثن (مناه):¹²

إني حلفت يمين صدق بره *** بمناه عند محلل الخرج

ومن المعتقدات الباطلة الفاسدة، زعمهم أن روح القتيل الذي لم يدرك ثأره، تصير هامة عند قبره تقول اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت، وقد أشار جرير إلى هذا المعنى في قوله:¹³

فإن تك هامة بهراة تزقو

فقد أزقيت بالمروين هاما

أما بالنسبة لعبادة اليهود وطقوسهم فقد ذكرهم أوس بن حجر في إشارة إلى إيقادهم المصابيح في كنائسهم حيث قال:14

قدمت نمت عني وباب البرق يسهرني* كما استضاء يهودي بمصباح**

3- جمالية التعبير عن الأنساق الدينية في شعر أمي بن الصلت

1/الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة هو نورٌ ينساب إلى القلب، يملؤه طمأنينة ويغمره يقيناً بأن الكون من حولنا ليس فراغاً صامتاً، بل حافلٌ بمخلوقات نورانية، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. هم رسل الرحمة، وحملة الوحي، وكتابة الأعمال، يحيطون بالمؤمنين ويساندونهم في لحظات ضعفهم، ويشهدون أعمالهم في الخفاء والعلن. ما أروع أن يعيش الإنسان بهذا الإيمان، متيقناً أن في كل لحظة من حياته عيناً لا تنام، وجنّداً من نور يسجلون حروف الخير ويستبشرون بتوبته. إنه إيمانٌ يسمو بالروح ويقوي الضمير، ويجعل القلب أكثر قرباً من الله، وأكثر حرصاً على طاعته ولعل هذا ما دفع الشاعر إلى اليقين الصادق بهذا الخلق العظيم وفي هذا **يقول أمية بن أبي الصلت**

حبس السرافيل الصوافي تحته* لاواهن منهم ولا مستوعد**

وإذا تلامذة الإله تــــعاونوا* غلبوا ونشطهم جناح معتد**

نهضوا بأجنحة فلم يــــتواكلوا* لامبطئ منهم ولا مستوغد**

رسل يجوبون السماء بــــأمرة* لاينظرون ثواء من يتقصد**

في البيت الأول يذكر الشاعر(السرافيل)، وهم الملائكة، حيث يصفهم بأنهم(صوافي) بمعنى لا كدر فيهم، ولا يشغلهم شيء عن أمر الله، ثم هم يعملون الأعمال بلا (مستوعد) أي لا ينتظرون مقابلاً ولا مكافأة¹⁵. وفي البيت الثاني يصف الشاعر الملائكة بأن لهم (جناح معتد) أي مهياً، حيث أن الله خلقهم ذوا أجنحة مثنى، وثلاث، ورباع، كما جاء في القرآن، وذلك من حكمته سبحانه وتعالى، وهي أنها تعينهم في أعمالهم، خاصة إذا اجتمعوا وتعاونوا فإن ذلك يزيد من نشاطهم، وبالتالي يحققون الغلبة والتمكين، ثم إن الملائكة الكرام إذا هموا بالأمر(نهضوا بأجنحتهم فلم يتواكلوا) أي لم يتكل بعضهم على بعض، وكانوا على شيء من السرعة والدقة ليس منهم (مستوغد) أي الخفيف الأحق وقيل ضعيف الجسم¹⁶.

ثم إنهم من فرط ما أودع الله فيهم من قوة، فهم (يجوبون السماء بأمره) أي يقطعونها غير مبالين ومنتظرين (ثواء من يتقصد) أي ذاك الذي يتقصد الشيء يطلبه ويميل إليه مرة بعد أخرى حتى يصبح له ثواء هناك أي إقامة¹⁷.

يبقى فقط الإشارة أن تسمية (تلامذة) التي أوردها الشاعر هنا، وهو يقصد بها الملائكة لم ترد في القرآن ولا في السنة، وبالتالي لا ينبغي تداولها.

ينتابه المتنصفون بسحرة* في ألف من ملائك تحشد**

يشير الشاعر في هذا البيت إلى نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا وقت السحر – بنزول يليق بعظمته تعالى- وهذا كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: (يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ]. ومعنى البيت أن الناس (ينتابونه) أي يأتونه مرة بعد أخرى بدعائهم وهم (المتنصفون) أي يسألونه أن ينصفهم، وهو سبحانه وتعالى في ألف من الملائكة¹⁸، (هذه الأخيرة تحتاج إلى دليل من القرآن أو السنة أي نزول الملائكة).

يتطرق الشاعر في مجموع هذه الأبيات إلى مسألة مهمة، تتعلق بأمور غيبية وجب التسليم والتصديق بها وهذا من مقتضى الإيمان، كيف لا؟؟ وقد عدت من أركان الإيمان، فالملائكة هم خلق من خلق الله تعالى لهم صفات وخصائص ووظائف خاصة، ومنهم واسطة في البلاغ بين الله تعالى ورسله؛ واسطة في إبلاغ الوحي والرسالة

إلى من اصطفاهم الله تعالى من البشر، كما قال تعالى: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [الحج75] والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، فلا يتم إيمان امرئ إلا بالإيمان بهم، قال تعالى: (مَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البقرة285]. وقال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء136]. وقد تحدث الله في القرآن الكريم عن الملائكة باستفاضة فذكر من صفاتهم الخلقية والخلقية الشيء الكثير¹⁹.

2/الإيمان بالجنة والنار:

الإيمان بالجنة والنار هو إيمانٌ يهزّ الوجدان، ويوقظ في القلب شعلة الرجاء والخوف. فالجنة وعد الله للصادقين، دار السلام والخلود، حيث لا وجع ولا ألم، حيث الظلال الوارفة، والأنهار الجارية، والوجوه الناضرة التي تنظر إلى وجه ربها الكريم. وأما النار، فهي إنذارٌ للعاصين، تذكيرٌ بعدل الله، دار الشقاء لمن أعرض وتكبر، فيها عذاب لا يُطاق، وندم لا ينفع. بين نعيم الجنة وعذاب النار، يسير المؤمن في دنياه مترنًا، يرجو رحمة ربه ويخشى عقابه، فيغدو قلبه أكثر صفاءً، وعقله أكثر وعياً، وسعيه في الحياة أكثر صدقاً وإخلاصاً وفي هذا يقول الشاعر:

فلا تدنو جهنم من بريء *** ولا عدن يحل بها الأثيم
ألا ويحهم من حر نار *** كصرخة أربعين لها وزيم

في هذه الأبيات يعرض الشاعر مبحث الإيمان بالجنة والنار، وهذا المبحث في الحقيقة يندرج ضمن ركن من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار يتعلقان بمصير كل إنسان، ومآل كل بشر، وفي تفصيل ذلك يقول الشاعر (فلا تدنو جهنم من بريء) أي أن جهنم ليست مقاما للأبرياء، كما أن الجنة لا يحل بها أصحاب الإثم المذنبون وهو قوله (ولا عدن يحل بها الأثيم)، ثم هو ينبه الناس ويحذرهم من حر النار فيقول (ألا ويحهم من حر نار)، هذه النار التي هي (كصرخة أربعين لها وزيم) بمعنى كصرخة أربعين من الرجال لها وجبة شديدة (هذا الوصف يحتاج إلى دليل من القرآن أو السنة)، فهذه النار لا تشبع بالقليل وإنما تأكل الناس بكثرة ونهم.²⁰

والله سبحانه وتعالى ما خلقنا إلا لعبادته، وقد جعل هذه الحياة الدنيا مطية للأخرة، فليست دار قرار، ولا محل استقرار، إنما هي مكان امتحان واختبار، والشاعر قسم الناس إلى قسمين في هذه الحياة، منهم المتقين الأبرار وهؤلاء مصيرهم الجنة والدرجات، ومنهم المجرمين الفجار مآلهم جهنم والدركات. ثم صور هذه النار بأنها شديدة، قاسية على أهلها، لذلك وجب الحذر وأخذ الحيطة منها، كونها العذاب المقيم، والخسران المبين.

والإيمان بالجنة والنار، هو أن تعلم أنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر". قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧٨﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ ..) [البينة 7-8].²¹

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال مالا يخطر على البال قال الله تعالى: (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [آل عمران131] وقال:

(إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) [الكهف29] وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) يَوْمَ تَقَلَّبَ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) [الأحزاب64-66]

إن ذكر الجنة والنار، ليبعث في القلب رغبة ورهبة، واشتياقا واشفاقا، فالجنة مصير النعيم والسعادة، والنار مهاد اليأس والنكاد، وعليه كان ولاء المؤمنين وبرائهم، فجنة عرضها كعرض السماء والأرض، اشتملت على أصناف ما تشتهيهِ الأنفس، وتستلذهُ الأعين، فيها من (العيون الجارية السارحة، والأنهار المتفجرة من تلال المسك، والسرر

المرفوعة بسمكها حتى إذا أرادوا الجلوس عليها انبسطت، والأكواب الموضوعة أي أواني الشرب مُعدَّة مُرصدة لمن أرادها من أربابها....²² لا يليلق بعائل ذا لب أن يرغب عنها، ويزهد فيها.

وإن ناراً أَعَدَّها اللهُ للكافرين الملحدين، فيها من أشكال العذاب، وصنوف العقاب، ما تنفر له الفطر السليمة، وتهابه النفوس الكريمة، إنطلاقاً من أنها (لا تبقى ولا تذر أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصَبهم وجلودهم، ثم تُبدل غير ذلك، وهم في ذلك لا يُموتون ولا يحيون، مروراً من كونها لواحة للبشر أي تُلَفِّحُ الجِدَّ لَفْحَةً فَتَدْعُهُ أَسْوَدَ مِنَ اللَّيْلِ، انتهت بأن عليها تسعة عشر من مُقَدِّمِي الرِّبَانِيَّةِ، عَظِيمٌ خَلْفُهُمْ، غَلِيظٌ خَلْفُهُمْ)²³ لحري بمن وعى ذلك، واهتدى إليه، أن يقيم على طاعة الله، ويثبت على الصراط المستقيم، إلى أن يأتيه اليقين.

3/الإيمان بالأنبياء والرسل:

الإيمان بالأنبياء والرسل هو إيمانٌ بالتاريخ النقي الذي سطره الله رحمةً بالبشر. أولئك الصفوة من عباده، اصطفاهم رب العزة ليكونوا مصابيح الهداية، ومنازل النور في دروب الظلمة. جاءوا إلى أقوامهم بالحكمة والموعظة الحسنة، يحملون رسالة واحدة: أن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً. منهم من تحدى الجهل، ومنهم من صبر على الأذى، ومنهم من بُعث في أمة ضائعة فأحيا فيها الإيمان من جديد. والإيمان بهم ليس مجرد تصديق، بل هو محبة وتوقير، واقتداء بنهجهم في الصدق والصبر والثبات على الحق. فبهم عرفنا ربنا، وبهم اكتملت لنا طريق النجاة.

ومن الأنبياء الذي صرح بهم الشاعر نجد:

3-1/ إبراهيم عليه السلام:

ولإبراهيم الموفى بالوعد النذر *** احتساباً وحامل الاجـ ذال
ابني إنني نذرتك لله *** له شحيطا فاصبر فذلك حالي
فأجاب الغلام أن قال فيـه *** كل شيء لله غير انتـ حال
فاقض ما قد نذرت لله واكفف *** عن دمي ان يمسه سرـبالي

صور الشاعر هنا حادثة الابتلاء، الذي تعرض له النبي إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، حيث أمره الله تعالى بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، وقد وصفه بأنه قد وفى بالنذر بالرغم من تلك المشقة التي كان عليها النبي إبراهيم عليه السلام من حمله (الأجدال) أي حمل ما عظم من أصول الشجر العظيم المقطع²⁴

وها هنا إشارة من الشاعر إلى أن النبي إبراهيم كان يجتهد ويكد في عمله، ليعيل أهله وولده، كأننا في ذلك كل الحب لولده مختزلاً فيه معاني العطف والرحمة خاصة وأنه هبة من الله عليه في آخر عمره. ثم هو يؤمر بذبح ابنه، حقيقة إنه موقف صعب، وخطب جليل، وابتلاء عظيم، لا يقدر عليه البشر إلا من وفقه الله لذلك، ولكن النبي إبراهيم عليه السلام لبي هذا، لأنه يعلم أن أمر الله كله خير محتسباً ذلك عنده، كيف لا؟؟ وقد صرح بذلك لابنه (إني نذرتك لله شحيطا فاصبر فذلك حالي)، أي قد نذرتك ذبيحا لله²⁵، ثم هو يوصي ابنه بالصبر والتسليم لقضاء الله، فما كان من الابن إلا أن يجيب (كل شيء لله غير انتحال) أي تسليماً وامتثالاً لله بغير ادعاء ولا كذب، بل بالعكس طلب منه البدار بذلك (فاقض ما قد نذرت لله)، وإنما فقط أريدك أن (تكفف عن دمي أن يمسه سربالي)، أي لا أريد أن يمسه القميص شيئاً من الدماء²⁶.

4/الدعاء والخوف من الشرك:

الدعاء هو سرّ العبد بينه وبين ربه، هو اعتراف بالفقر، وتضرع المحب، وباب الرجاء المفتوح لا يُغلق أبداً. فيه تنحني الأرواح وتذوب الكلمات، وترتفع الحاجات إلى السماء، وكل دعوة صادقة لا تضيع. لكن وسط هذا الصفاء، يظل الخوف من الشرك رادعاً رقيقاً يسكن قلب المؤمن، يجعله حذراً من أن يصرف الدعاء أو التعظيم لغير الله، مهما صغر الفعل أو خفي المعنى. فالشرك أخفى من دبيب النمل، وقد يكون في كلمة، أو في تعلق غير مشروع. لذلك، كان الدعاء مقترناً دوماً بالتوحيد، فكلما رفع المؤمن يديه، رفع معها قلباً مخلصاً لا يرجو إلا وجه الله، ولا يخاف إلا سخطه، متوسلاً إليه ألا يجعله من الغافلين أو من الذين يشركون وهم لا يشعرون.

يا رب لا تجعلني كافراً أبداً *** واجعل سريرة قلبي الدهر إيماناً

واخلط به بنيتي واخط بها بشري *** واللحم والدم ما عمرت إنسانا

لقد أبدع الشاعر وأجاد في هذين البيتين، وقد ضمنهما كثيرا من المعاني التي تدور في فلك التوحيد، موظفا لها جملة من الألفاظ والكلمات، التي لها دلالاتها العميقة، تنبعث أحيانا من رحي الصراع القائم بين الإيمان والكفر، وتختلج مرات في سويداء القلوب، وقد استهل الشاعر بالدعاء الذي هو من أجل العبادات، وأظهرها على الإطلاق، إذ به تتلخص معاني التوحيد، ويفوح عبير الإيمان، وتصفو معالم الاعتقاد، في صور شتى متعددة كالاستعانة والتوكل والالتجاء والاعتصام... وقد قال صلى الله عليه وسلم: (الدعاء هو العبادة) [صحيح البخاري].

4-1/ الدعاء: هو توجه العبد بقلبه ولسانه إلى الله سبحانه وتعالى للمعافاة في الدنيا والآخرة، ولكسب مرضاة الله تعالى ودخول الجنة والزحزحة عن النار²⁷. وهو يندرج ضمن عبادة الله وحده لا شريك، إذ لا يمكن صرفه بوجه أو بأخر إلى غير الله، لا لنبي مرسل، ولا لملك مقرب. ثم إنك تلاحظ ما مدى تركيز الشاعر على هذا الدعاء، انطلاقا من يقينه الذي يدرك حقيقة الصراع القائم في مجتمعه بين التوحيد والشرك، وبين الهداية والظلال، فهو قد استقرأ حياة المشركين وخبر ملتهم، فعلم علم اليقين أنه على خير وفضل مبين، وهذا منة من الرب الكريم، الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

لكن هذا الفضل، وهذا التوفيق لا بد من حرص وإشفاق عليه، الأمر الذي يجعل العبد دائما وأبدا يسأل الله العظيم أن يثبتته، ويجدد الإيمان في قلبه، وهاهنا قضية هامة تتعلق بالتوحيد وهي:

4-2/ الخوف من الشرك: 28

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) [النساء 48]. وقال الخليل - عليه السلام - : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) [إبراهيم 35].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار) [رواه البخاري].

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار).

إن الذي يلاحظ تضرع الشاعر، وإشفاقه، وخوفه من سوء المنقلب، ثم هو لا يعلم أن هذا البيت قد قيل في العصر الجاهلي قبل البعثة، ليحسب أن الشاعر قد اطلع على قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [الأنفال 24] أو قوله صلى الله عليه وسلم: (نَعَمْ)

إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ) [صحيح الألباني] أو نصوص أخرى على هذا السياق وهذا المنوال، مما يعث على القلق والحرص على نعمة الإيمان، والثبات عليها. والإيمان: هو التصديق الجازم من صميم القلب²⁹ بكل ما جاء عن الله عز وجل، وهو ينسحب بالجملة على ثلاث شعب، منها ما تعلق بذات الله العلية، ومنها ما يخص الحياة المعيشية، ومنها ما يشمل أمور الآخرة والمعاد³⁰ وبذلك فهو حلقة أخرى من حلقات التوحيد، لا يستقيم توحيد المرء إلا بها.

وقد ذكر الشاعر سريرة القلب، في إشارة منه إلى أنها قرار الإيمان ومرتعه، فبقدر الإيمان في القلوب، تتحدد القيم الفعلية في الظاهر، ويتباين السلوك في الدرجات:

إن العقيدة في قلوب رجالها من ذرة أقوى وألف مهند

ثم إن (الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب، وانقياده، ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له، ولو حقن به الدماء وعصم به المال والذرية، ولا يجزئ باطن لا ظاهر له إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف وهلاك)³¹

5/ علم اليقين:

علم اليقين هو نورٌ يُشْرِقُ في القلب قبل أن يُثبِتَ بالبصر، وهو أول درجات المعرفة التي تُورث الطمأنينة، وتجعل الإيمان راسخًا لا تزعه الشكوك. هو أن تعلم بحقائق الغيب كما لو رأيتها، وأن توقن بوعد الله ووعيده كما لو كنت تسمعه من فوق سبع سماوات. هو أن تقرأ القرآن فتزى بين كلماته مشاهد القيامة، ونعيم الجنة، وأهوال النار، كأنك تعيشها حقًا. بعلم اليقين، يُصبح الإيمان حيًّا في الجوارح، فتتحرك النفس طائفة، ويغدو الصبر جميلًا، والتوكل صادقًا. إنه العلم الذي لا يُطلب بالعين وحدها، بل يُنال بالقلب الخاشع، والعقل المتدبر، والقلب المتعلق بربه بلا تردد ولا سؤال.

وقد علمنا لو أن العلم ينفعا*** أن سوف يلحق أولانا بأخرانا

ثم ينتقل الشاعر إلى البيت الثاني، ليقدر مسألة مهمة، لها دورها الفعال وقيمتها الكبيرة، كآلية وسبيل إلى بلوغ الغايات وإدراك المراد، وهي وسيلة العلم، حيث يقول (وقد علمنا لو أن العلم ينفعا) عبارة وجيزة تكتنز عدة معانٍ، متعلقة بأصناف الناس، الذين يعلمون ظاهرة الهلاك كحقيقة، ومسلمة طالت الأولين والآخرين، إلا أنه في استدارته بـ (لو) يشير إلى الكثرة الكثيرة من معاصريه، الذين ما انتفعوا بهذا العلم، فهم كالسوائم في مسالخ البشر، يعبدون أصناما يأكلونها إذا جاعوا، ويحطمونها إذا غضبوا...والسر في ذلك هو الإشارة إلى علم اليقين إذ أن مجرد العلم وحده، لا يكفي حيث لا بد له من يقين، يزيده قوة ونماء ليوصله إلى سويداء القلب ممكنا رصينا، وقد فسر العلماء قوله تعالى: (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) [التكاثر:5] بـ: (لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى

الأعمال الصالحة)³² وكذلك بـ: (الْعِلْمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَكِنَّهُ أَكْذُ مِنْهُ)³³

ثم إن العلم الصحيح يفضي إلى العمل، الذي هو في الأساس من ثمرات العلم، ومقتضياته، وعليه جاء في تفسير قوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء:17]

أي كل من عصى الله تعالى فهو جاهل قال ابن كثير: (قال مجاهد وغير واحد: كل من عصى الله خطأ أو عمدا فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب) وقد عقب ابن القيم على ذلك بقوله: (والجهالة هاهنا جهالة العمل وإن كان عالما بالتحريم..).

كما كرر ذلك في موضع آخر في تفسير قوله تعالى: (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) [الذاريات:50] حيث قال: الفرار من الجهلين:³⁴

1/ من الجهل بالعلم إلى تحصيله اعتقادا ومعرفة وبصيرة.

2/ من جهل العمل إلى السعي النافع والعمل الصالح قصدا وسعيا.

وبطريق المطابقة، فإن الناس في العصر الجاهلي، كانوا يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر للأمر، وأن الموت والفناء بيده سبحانه وتعالى، فهو الذي أهلك الأولين ثم أتبعهم الآخرين، قال عز وجل:

(وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [لقمان 25] لكن لم ينفعم ذلك. إذ أنهم لم يحققوا توحيد العبودية

كما كان عليه الأحناف، في صورة نبذ الشرك وأهله، وإقامة ملة إبراهيم عليه السلام.

وما تركيزنا على قضية العلم، إلا لأنها سبيل للتوحيد، وإجراء للوصول إليه، وكما تقرر لدى الأصوليين ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ثم إن العمل بدوره تتعدد صورته وأشكاله وتتنوع في سبيلين هما أعمال الجوارح وتعلقات القلوب كالتسليم والانقياد والقبول وهذا كثيرا ما تداول في ديننا وشرعنا ويكفيك أن من شروط كلمة التوحيد: 35.

- العلم المنافي للجهل: العلم بمعناها نفيا وإثباتا قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) [محمد19].

- اليقين المنافي للشك: مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما لأن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين قال تعالى: (قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحجرات 15].

إضافة إلى القبول لها، والانقياد والاستسلام لها، والصدق المنافي للكذب، والإخلاص المنافي للشرك، والحب لها، والكفر بالمعبودات من دون الله، مع النطق بها³⁶.

ثم يسترسل الشاعر مرة أخرى في تعجبه وامتعاضه، لكن ليس بسبب الموت، الذي هو آية ظاهرة للعلن، وحقيقة لا ينكرها أحد، ومأل كل حي، يدب في هذه الحياة الدنيا، وإنما التعجب مداره على تلك المواقف التي يبديها الناس، في قبيل موتاهم، من بكاء وعويل وشق للجيوب...وعليه فإن المعاني التي يريدها الشاعر، تتباين وتتراوح ضمن اعتبارات وسياقات عديدة، هي من الضرورة بمكان، فأنت حين تبكي الميت، لا يخرج بكائك عن عدة حالات، أحسنها وأقربها للقبول لوعة الفراق، فهذا الحبيب الذي كان معنا، ها هو اليوم يفارقنا، فلم نعد نجاهه، وقد كانت الحياة معه سعيدة، وطيبة رغيدة... وكان الشاعر يخبرنا بأن حياة كهذه إذا حلت أو حلت، وإذا كست أو كست، ما بنيت للعمار إلا للخراب، وما ينتظر الصحيح فيها إلا السقم، ختامها موت، وفناء..الأولى بها أن تجعلك تبكي نفسك وتعزيها وتهتم بمصيرها وعاقبتها.

7/توحيد العبادة والإيمان بالبعث:

وحيد العبادة هو خلاصة الرسالات، ولب الإيمان، أن لا يُصرف سجودٌ ولا دعاءً ولا نذرٌ إلا لله وحده، لا شريك له. هو أن يُخلص القلب قبل الجوارح، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا منه، ولا يسأل إلا إياه. فيه يتحرر الإنسان من عبودية الخلق إلى عبودية الحق، فيذوق حلاوة القرب، ويعيش بمعنى "إياك نعبد وإياك نستعين".

وأما الإيمان بالبعث، فهو تجديد للعهد مع الآخرة، إيماناً بأن القبور ليست نهاية، بل بداية لحقبة الخلود، وأن الأجساد ستبعث، والأعمال ستوزن، والعدالة الإلهية ستقام. من آمن بالبعث، لم يظلم، ولم يطغ، ولم يغفل، بل عاش كل لحظة من حياته وهو يستعد للقاء ربه، يزرع الخير، ويرجو القبول، ويخاف من الحساب.

توحيد العبادة يُطهر القلب في الدنيا، والإيمان بالبعث يُنير الطريق إلى الآخرة، فهما معاً جناح النجاة لمن أراد السعادة الأبدية.

وفي هذا يرتجى الشاعر قائلاً:

ألا نبي لنا منا فيخبرنا* ما بعد غائتنا من رأس محيانا**

(ألا) دالة على الانتباه ومراعاة السمع وفيها معنى الرجاء والتوقع، (نبي لنا منا) كان يدرك تمام الإدراك، أن نبيا سيبعث في زمنه، وهذا ما ذكره المؤرخون عنه، بأنه قرأ كتب الأولين، وسمع من أحبار اليهود، ورهبان النصراني، وقوله (منا) (إلا رجاء والتماسا منه أن يكون هو النبي، وهذا الذي تمكن منه فيما بعد، وتشعب في خلد، وزاده الشيطان نفخا، وهمزا، ووسوسة، أورثته الكبر والعجب فأخذاه كل مأخذ، إذا العبرة أن تكون مريدا للحق، طالبا له، أيا كان نبعه ومصدره، وأينما حلت ركائبه، وقرت ركائزه، والذي يطلع على سير السلف الصالح، يرى أنهم كانوا ازهد الناس في مقامات الإمارة، ومناصب الحكم، كل ذلك سدا لذريعة الغرور والافتخار. أما قوله (فيخبرنا) فهي كلمة بسيطة في معناها، قوية في معناها، ذات دلالات عميقة، تنطوي على أجوبة لمسائل كثيرة،

عالقة في ذهن ذوي الألباب، الذين وهبهم الله رؤية ثاقبة وعقلا راجحا عملوه في حقيقة هذا الكون. ليأتي النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيفسر المبهم، ويشرح الغامض، في صورة أمرين اثنين باعتبار تداولية لفظة (غايتنا) مع الاسم (محيانا):

1/ البعث والنشور: (ومن المغيبات التي يجب الإيمان بها:

البعث بعد الموت، والحساب بعده والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل - عليه السلام - في الصور قال تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) [يس51]، ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهماً، فيقفون في موقف القيامة؛

حتى يشفع فيهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، ويحاسبهم الله تبارك وتعالى، وتنصب الموازين، وتنتشر الدواوين، وتنتظير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمال، كما قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا) [الانشقاق7-12] ³⁷. وقد رأى الشاعر حياة البشر، وما فيها من كد وكدح واجتهاد، ثم مآلها إلى الضعف فالموت، هذه الصورة هل هي هكذا فقط؟؟؟ ذات طابع مادي، آلي، يعيش فيه الإنسان كالسائمة يعمل جاهداً ليأكل ويشرب وينام، حياة جافة قلقة نابية متوترة، أصحابها تنابلة بطالين، وتجارها خاملة كاسدة، تجعل المتصفح فيها من ذوي الهدى والرشاد، يمجونها ويلفظونها فهم يتساءلون (ما بعد غايتنا من رأس محيانا). والملاحظ أن الشاعر قد استعمل لفظة (الرأس) وفاء لقاعدته ومنهجيته في اختيار الألفاظ ذات الإيحاءات الدالة، التي تزيد المعنى الديني ثباتاً، ورسوخاً، حيث أن صور الحياة تنتشعب، وتتباين، وغاياتها كثيرة، متنوعة، وتتنامى في الدرجات، والمراتب، لا اعتبارات وسياقات عديدة. مما جعله يوظف لفظة (الرأس) في إشارة منه إلى اعتبار أن ما يأتي به النبي من الخبر، هو الغاية المرجوة، وهو رأس الأمر وذروته، وهو القصد الذي تطوع لأجله كل المقاصد، وتتساق خلفه كل المطامح، وهذا ما نصطلح عليه بـ :

2/ توحيد العبادة: قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات56].

والمعنى: وَمَا خَلَقْتُ أَهْلَ السَّعَادَةِ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِلَّا لِيُؤَدُّونَ ³⁸.

وعليه كانت الغاية من خلق الخلق، هي عبادة الله وحده لا شريك له، والشاعر في هذا البيت قد نبه إلى قضية مهمة تتعلق بالحاجة الماسة إلى الرسل والأنبياء في قوله (ألا) كما جاء عن ابن القيم مبيناً حاجة العباد إلى الرسل وتعاليمهم: (ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأبى ضرورة وحاجة فرضت ضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير. وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلبٌ حيٌّ) ³⁹.

أما قول الشاعر (ألا نبي لنا منا) إشارة إلى أن يكون الرسل من جنس البشر، وهذا الذي كان محل احتجاج، ومعارضة، لدى المشركين، الذين اعتبروا إرسال البشر دليل على عدم صدق الرسالة، إذ الأولى إرسال الملائكة، ولهذا جاء القرآن مفنداً لذلك حيث قال تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا) [الإسراء95]. بَيِّنْ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الرَّسُولَ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، فَلَوْ كَانَ مُرْسِلًا رَسُولًا إِلَى الْمَلَائِكَةِ لَنَزَلَ عَلَيْهِمْ مَلَكًا مِثْلَهُمْ، وَإِذَا أُرْسِلَ إِلَى الْبَشَرِ أُرْسِلَ لَهُمْ بَشَرًا مِثْلَهُمْ. وَقَدْ أَوْضَحَ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: (وَمَا أُرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [الأنبياء7] ⁴⁰.

نتائج البحث:

1. **تكامل البنية الشعرية والدينية: أثبت شعر أمية بن أبي الصلت قدرة فنية عالية في المزج بين الصورة البلاغية والمضمون العقائدي، مما جعله يمهد لروح الشعر الإسلامي من خلال توظيفه لمفردات التوحيد والإيمان بأسلوب شعري مؤثر.**
2. **مظاهر التوحيد في الشعر الجاهلي: أظهر شعر أمية رفضاً واضحاً للوثنية وتعدّد الآلهة، من خلال انتقاد الطقوس الجاهلية واستنكار عبادة الأصنام، مما يدل على نزوع توحيدي سابق لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.**
3. **الاقتراب من مفاهيم العقيدة الإسلامية: عبّر أمية عن مفاهيم عقديّة رئيسية كالإيمان بالملائكة، البعث، والجنة والنار، بلغة تتسم بالتصديق والتسليم، تدل على معرفة سابقة أو تأثير واضح بكتب الديانات السماوية.**
4. **الدعاء كمظهر عبادي صافٍ: جسّد الشاعر الدعاء كفعل توحيدي خالص لا يصرف إلا لله، مقروناً بخشية الشرك، مما يدل على إدراكه العميق لخطر الانحراف في العبادة.**
5. **وعي بالنبوة والحاجة إلى الرسالة: عبّر في بعض الأبيات عن توقه لظهور نبي يجيب عن تساؤلات الوجود، مما يعكس وعياً بضرورة الرسالة الإلهية، ويتماشى مع ما نُقل عن ترقبه لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.**
6. **علم اليقين كحافز للإيمان والعمل: أشار بوضوح إلى أن المعرفة وحدها لا تكفي دون يقين، ودون ترجمة عملية في حياة الإنسان، مما يدل على فهم شامل لمقتضيات الإيمان الصحيح.**
7. **جماليات التوصيف الديني: استخدم الشاعر ألفاظاً قوية وصوراً حسية مثل (الملائكة المجنحة، النار الحارقة، الجنة المورقة...) ليجسد العقائد الدينية بشكل محسوس، مما منح النص بُعداً جمالياً وإيحائياً قوياً.**
8. **منهجية فكرية رصينة: يتضمن شعره بنية فكرية متماسكة تنطلق من معاني التوحيد، وتحذر من الشرك، وتؤكد على حقائق اليوم الآخر، مما يجعله مرجعاً فكرياً لما قبل الإسلام في مجال العقيدة.**
9. **نقد ضمني للمجتمع الجاهلي: تضمنت نصوصه نقداً اجتماعياً وسلوكياً لأحوال العرب، من خلال التطرق لأوهام الهامة وعبادة الأوثان، ما يعكس موقفاً إصلاحياً ونزعة توحيدية مبكرة.**
10. **تمهيد للشعر الإسلامي: اعتُبر أمية بن أبي الصلت من الشعراء الذين مهدوا للشعر الإسلامي، من حيث المضمون العقدي والأسلوب البلاغي، وكان لذلك أثر روحي وأدبي في الشعراء المسلمين من بعده.**

قائمة المراجع:

1. أبو الفداء ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1999م.
2. ابن قتيبة، عبد الله. الشعر والشعراء. تحقيق عمر الطباع. شركة الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، 1997.
3. ابن قيم الجوزية، شمس الدين. الفوائد. دار الإمام مالك، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007.
4. الأشقر، عمر بن سليمان. الرسل والرسالات. مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة، 1989.
5. العثيمين، محمد بن صالح. شرح ثلاثة الأصول. دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة، 2004.
6. العوايشة، حسين بن عودة. الدعاء. دار الإمام مالك، الجزائر، الطبعة الأولى، 2003.
7. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. القول السديد شرح كتاب التوحيد. النفائس الدولية، الطبعة الثالثة.
8. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2003.
9. السهيلي، عبد الرحمن. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. مكتبة ابن تيمية، الجزء الأول.
10. الصباغ، عماد. الأحناف: دراسة في الفكر الديني التوحيدي في المنطقة العربية قبل الإسلام. دار الحصاد، دمشق، الطبعة الأولى، 1998.
11. الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. عالم الفوائد، السعودية، الطبعة الثانية، 1980.
12. الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.

13. العزازمة، محمود. اليهودية واليهود في الشعر الجاهلي. مجلة جامعة الخليل للبحوث، 2012، المجلد 7، العدد 1.
14. الجبلي، سجيح جميل. ديوان أمية بن أبي الصلت. دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.
15. الحسيني، محمد بن عبد الرزاق. عقد الجمان في بيان شعب الإيمان. دار البشائر، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.
16. الجمحي، محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمود محمد شاكر. دار المدني، جدة.
17. السطلي، عبد الحفيظ. جمع وتحقيق ودراسة لديوان أمية بن أبي الصلت. www.dorat-ghawas.com.
18. الكاتب، سيف الدين، والكاتب، أحمد عصام. شرح ديوان أمية بن أبي الصلت. دار مكتبة الحياة، بيروت.
19. القرطبي، شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1964.
20. الملاياني، الزواوي. سبيل السعادتين في اجتناب الجهالتين. مجلة الإصلاح، دار الفضيلة، العدد 15، سنة 2009.
21. الوصابي، محمد بن عبد الوهاب. لا إله إلا الله: معناها، أركانها، شروطها. دار المحسن، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009.
22. آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر. القول السديد شرح كتاب التوحيد. النفائس الدولية.
23. آل حكيمي، حافظ 200. سؤال وجواب في العقيدة. دار الإمام مالك، الجزائر، الطبعة الأولى، 2004.
24. البراك، عبد الرحمن بن ناصر. إرشاد العباد إلى معاني لمعة الاعتقاد. دار التدمرية، الطبعة الأولى، 2012.
25. بداري، كامل فرحان صالح. الشعر والدين (فاعلية الرمز الديني في الشعر العربي). (دار الحدائق، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.
26. رضا، محمد رشيد. منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة. دار ماجد العسيري، الطبعة الأولى، 2004.
27. طقوس، محمد سهيل. تاريخ العرب قبل الإسلام. دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.
28. عبد الجبار، عبد الله، وخفاجي، محمد عبد المنعم. قصة الأدب في الحجاز. مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة 1980.
29. حسن، محمد خليفة. دراسات في حضارة الشعوب السامية القديمة. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، طبعة 2010.

الهوامش:

- 1 - سجيح جميل الجبلي، ديوان أمية بن أبي الصلت، دار صادر بيروت الطبعة الأولى 1998 ص 7¹
- 2- سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، شرح ديوان أمية بن الصلت، دار مكتبة الحياة بيروت، موقع ملتقى أهل الأثر ص 7
- عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي، قصة الادب في الحجاز، مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة 1980 ص 604³
- المرجع نفسه ص 603⁴
- عبد الله ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق عمر الطباع، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى 1997 ص 336 بتصرف.⁵
- عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي، قصة الادب في الحجاز، مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة 1980 ص 608. بتصرف.⁶
- محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة، مج 267/01
- المرجع السابق، مج 267/01⁸
- عبد الرحمن السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، مكتبة ابن تيمية، مج 1 ص 349 و 350⁹
- كامل فرحان صالح، الشعر والدين (فاعلية الرمز الديني في الشعر العربي)، دار الحدائق بيروت، الطبعة الأولى 2005 ص 47¹⁰
- محمد خليفة حسن، دراسات في حضارة الشعوب السامية القديمة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية القاهرة، طبعة 2010، 113¹¹
- المرجع نفسه، طبعة، ص 113¹²
- محمد سهيل طقوس، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس بيروت، الطبعة الأولى 2009 ص 225¹³
- محمود العزازمة، اليهودية واليهود في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة الخليل للبحوث 2012 المجلد (7) العدد (1) ص 85¹⁴
- 15 - عبد الحفيظ السطلي، جمع وتحقيق ودراسة لديوان أمية بن أبي الصلت، www.dorat-ghawas.com، ص 365.
- المرجع نفسه، ص 363.¹⁶
- المرجع نفسه، ص 362.¹⁷
- 18 - عبد الحفيظ السطلي، جمع وتحقيق ودراسة لديوان أمية بن أبي الصلت، www.dorat-ghawas.com، ص 365.

- ثامر محمد محمود، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ، دار ماجد العسيري، الطبعة الأولى 2004 ص 637. ¹⁹-
²⁰- عبد الحفيظ السطلي، جمع وتحقيق ودراسة لديوان أمية بن أبي الصلت، www.dorat-ghawas.com، ص 482.
محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح ثلاثة الأصول ، دار الثريا للنشر ، الطبعة الرابعة 2004 ص 103/102 ²¹-
²²- أبو الفداء بن كثير تفسير القرآن العظيم سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1999 م مج 08 / 386 (بتصرف)²²
- المرجع نفسه ص مج 08/268 (بتصرف)²³
- عبد الحفيظ السطلي، جمع وتحقيق ودراسة لديوان أمية بن أبي الصلت، ص 440 ²⁴
- عماد الصباغ ، الأحناف دراسة في الفكر الديني التوحيدي في المنطقة العربية قبل الإسلام، دار الحصاد دمشق ، الطبعة الأولى 1998 ص 55²⁵
- سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب ، شرح ديوان أمية بن الصلت، دار مكتبة الحياة بيروت، موقع ملتقى أهل الأثر ص 64 ²⁶
- حسين بن عودة العوايشة، الدعاء ، دار الإمام مالك الجزائر ، الطبعة الأولى 2003 ص 77²⁷
- عبد الرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي، القول السديد شرح كتاب التوحيد، النفائس الدولية، الطبعة الثالثة ص 31 ²⁸
- حافظ آل حكيمي ، 200 سؤال وجواب في العقيدة، دار الإمام مالك الجزائر ، الطبعة الأولى 2004 ص 22²⁹
- محمد بن عبد الرزاق الحسيني، عقد الجمان في بيان شعب الإيمان ، دار البشائر بيروت ، الطبعة الأولى 2000 ص 47³⁰
³¹- شمس الدين ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، دار الإمام مالك الجزائر، الطبعة الأولى 2007 ص 163
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، دار ابن حزم بيروت ، الطبعة الأولى 2003 ص ³²
- محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، عالم الفوائد السعودية، الطبعة الثانية 1980، المجلد 09 ص 480 ³³
- الزواوي ملياني ، سبيل السعدين في اجتناب الجهالتين (مقال) في مجلة الإصلاح ، دار الفضيلة ، العدد 15 سنة 2009 ص 34-
37³⁴
- محمد بن عبد الوهاب الوصافي ، لا إله إلا الله معناها أركانها شروطها ، دار المحسن الجزائر، الطبعة الأولى 2009 ص 17-23³⁵
- المرجع نفسه ، ص 17-23 ³⁶
- عبد الرحمن بن ناصر البراك ، إرشاد العباد إلى معاني لمعة الاعتقاد ، دار التدمرية، الطبعة الأولى 2012 ص 92³⁷
2- شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1964 م الجزء 55/17
- عمر بن سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الرابعة 1989 م ص 31 ³⁹
2 - محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1995
م الجزء 03 / 186